

مفاهيم القرآن

(66) ويبحث عنها باستمرار وقد كان يظنها في الكمالات المادية المزيجة بالنقائص والشورور وأنّها قادرة على إرواء ظمئه وغليله، ولكنّه كلاًّ ما خطا خطوة جديدة إلى الأمام رأى خلاف ما كان يتصوره ويتوقعه، ووجدته دون ما يهواه وبعشقه. إنّ عشق الكمال المطلق لدليل - حقاً - على وجود مثل هذا الكمال، ولدليل أيضاً على وجود رابطة قائمة بين الإنسان والكمال ذلك. إنّ الوصول إلى ذلك الكمال وبلوغه يحتاج إلى تفكّر وتدبّر، وإلى السير في الطريق المؤدّي إليه، وإلى الرياضة الدؤوبة التي تشعل الجذوة الكامنة في أعماق النفس وتوجد في حناياه شغفاً أكبر وعطشاً أعمق، وتحوله بالتالي من باحث عن اللّاه إلى واجد للّاه، ثم يتحول وجدانه للّاه إلى الشهود، واليقين الذي لا ينفذ إليه شك، ولا يتسلل إليه تردد وارتياب. إنّ هذا الشهود ليس برؤية العين بل بعين البصيرة التي نوّه عنها في كلام الإمام علي - عليه السّلام - إذ قال: "لم تدركه العيون بمشاهدة العيان، بل تدركه القلوب بحقائق الإيمان"⁽¹⁾. إنّ اليقين الحاصل للسالك والعارف في مسألة "وجدان اللّاه" لهو أعلى من اليقين الحاصل من استخدام الجوارح والحواس، إنّّه نور لا ظلمة فيه، ويقين لا شك فيه، ولا تردد ولا احتمال ولا ظن. والآن ما هو طريق الوصول إلى مثل هذا الكمال واليقين المطلق والشهود الأعلى؟ إنّ القرآن الكريم يشير بنحو ما إلى هذا الطريق في آية، إذ يقول: _____ 1 . نهج البلاغة: شرح محمد عبده، خطبة 174.